

الخطابة السياسية في صدر الاسلام

د. عدنان محمد أحمد

فلا أعقاب ذلك التحول الجذري الذي شهده المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية ، وانتقل بفضل من مجتمع الوحدات السياسية المتفرقة والمتناحرة ، في كثير من الأحيان ، الى مجتمع العقيدة الواحدة ، والدولة الواحدة ذات النظام السياسي الواضح الشامل ، بدأت الخطابة العربية تخطو خطا جديدا في معالجة الأمور السياسية والخوض في مشكلاتها ، يدفعها الى ذلك تلك الأحداث الكبيرة المتلاحقة التي شهدتها ذلك العصر ، والتي تركت أثرا بارزا في التاريخ العربي عبر عصوره اللاحقة .

وقد راحت الخطابة السياسية في هذا العصر - عصر صدر الاسلام - تنمو بسرعة تلاحق الأحداث التي واجهتها الدولة الجديدة بعد غياب الرسول (ﷺ)؛ مؤسس هذه الدولة وزعيمها الأول . حتى إذا جاء العصر الأموي بمناخه الملائم نضجت تماما ثمارها التي حملتها من قبل وتوضحت ألوانها .

كانت أولى الأزمات بعد وفاة الرسول (ﷺ) هي مشكلة الحكم التي طرحت بصوت مسموع لأول مرة في تاريخ الدولة الفتية . إذ لم يكن هناك نص واضح يعالج هذا الأمر ، ولم تكن هناك تجربة سابقة يمكن الاستفادة منها ، والعمل بهديها . فالرسول (ﷺ) ، الزعيم الأول ، لم يخلف تجربة في هذا المجال ، فلم يكن هناك انفصال في أذهان المسلمين بين السياسة والدين ، فكان اعتناق الدين يعني ضمناً الاقرار بالزعامة السياسية للرسول (ﷺ) ، ويبدو

ذلك بوضوح من خلال المعاهدة التي تمت بين الرسول (ﷺ) وجماعة من الأنصار في بيعة العقبة الثانية ، إذ قال أبو الهيثم بن التيهان : « يارسول الله ، إنَّ بيننا وبين الرجال حبالاً ، وإنَّا قاطموها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ » (١) . وفور المبايعة وضعوا أنفسهم تحت قيادته ، إذ قال العباس بن عباد بن نضلة : « والذي بعثك بالحق : إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غداً بأسيا فإنا ؟ قال : فقال رسول الله (ﷺ) : لم تؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم » (٢) .

وعندما دخل الرسول (ﷺ) المدينة كان الاسلام قد انتشر فيها ، فكان المسلمون مقرين بزعامته . وكان قد سبقه إليها المهاجرون المقرون بزعامته من قبل ، وهناك راح يمارس ، دون منافسة ، دوره القيادي المزدوج : السياسي والديني .

ولم تكن الخلافة هي الأزمة الوحيدة التي كان على الدولة الاسلامية أن تواجهها ، إذ لم تنته هذه الأزمة بتسلم أبي بكر الصديق (ر) خلافة المسلمين حتى قامت حركة الردة ، وادعى بعض الكهان النبوة ، واستطاعوا بما يمتلكون من قوة تأثيرية كبيرة ، من جمع حشد كثير استطاع أن يشكل خطراً محدقاً بالمسلمين . فحشد هؤلاء قواهم المادية والمعنوية ، لكي يتمكنوا من القضاء على هذه الحركة .

ثم كان اغتيال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (ر) إيذاناً باضطراب الاستقرار السياسي الذي ساد أجواء الدولة الاسلامية ، ومؤشراً هاماً على أن بعض القوى السياسية ، التي أخذت ملامحها بالارتسام بعد وفاة الرسول (ﷺ) بمدة قصيرة ، كانت تنمو في الخفاء ، وبلغت مرحلة من النضج تمكنها من الدفاع عن مصالحها بأساليبها الخاصة . ولم تتوافر لعثمان بن عفان (ر) ، الخليفة الثالث ، الحنكة السياسية اللازمة لارضاء جميع الأطراف ، أو لاضعاف الحركات المعارضة . وهكذا بدأت ، في أواخر عهده ، الفتن التي انتهت بمقتله .

وازدادت الأحداث خطورة في عهد علي بن أبي طالب (ر) ، الخليفة الرابع ، وازدادت تعقيداً ، وأخذ المجتمع الاسلامي بالانقسام ، وسادت الاضطرابات أجواءه ؛ فمن الجمل إلى صفين ، إلى انقسام الخوارج وموقعة حرة وراء

والنهر وان... إلى غير ذلك من أحداث شهدها ذلك المجتمع في مدة لم تتجاوز خمس سنوات بكثير ، في أكثر الآراء تسامحاً (٣) .

وإذا كانت الخطابة السياسية تنشط وتزدهر في البيئات التي لا يتوافر فيها الاستقرار السياسي (٤) فإن الأحداث التي شهدها هذا العصر ، ولا سيما في أواخر خلافة عثمان (ر) وفي خلافة علي (ر) ، كانت تربة خصبة لنمو هذا اللون من الخطابة وتبلور ملامحه وقسماته .

فقد ارتفعت الأصوات تطالب بسياسة أفضل وأقوم في عهد عثمان (ر) وتعلن سخطها على النظام القائم ، بل تشكك في شرعية الحكومة في بعض الأحيان ، وتطالب بحقها في الخلافة في أحيان أخرى . وكان الخلفاء ، ومن معهم ، يردون على أولئك ، فيوضحون الملابسات ، ويؤكدون صحة موقفهم وصدق إيمانهم . وفي هذه الأجواء تكثر الخطب التي يتوجه بها الخطباء إلى الجماهير لاثارة مشاعرهم ، وتحريك عواطفهم ، والتأثير فيهم ، واستمالتهم وإقناعهم بما يريدون .

وكان للمعارك التي خاضها الدين الجديد ، وللفتوحات الكثيرة التي شهدها هذا العصر ، أثرها في نشوء هذا اللون من الخطابة ، إذ كانت إثارة مشاعر الجند وشحن عزيبتهم ، وترغيبهم بالجهاد ، وشرح الخطط الحربية والأمر المتعلقة بها ، وتبليغ الجند الأمر الصادر عن الخليفة في العاصمة البعيدة ، والتوجيهات التي ترسلها القيادة... إلى غير ذلك ، كل هذا من شأنه أن يغذي الخطابة السياسية ، لأن الخطابة هي الأسلوب الأمثل لمعالجة تلك الأمور .

كذلك كان انتقال كثير من القبائل العربية من الحياة البدوية إلى الحياة الحضرية في هذا العصر سبباً من أسباب نشوء الخطابة السياسية وتطورها ، فقد كانت الأعراف والتقاليد هي القوانين التي تحكم القبيلة ، أو تحكم القبائل في علاقاتها ، إذ لم يكن هناك قانون غير ذلك ، فقد « تقيّد الجاهليون بعرفهم وعاداتهم تقيداً شديداً » والعرف عندهم هو ما استقرّ وثبت في أذهانهم

حتى صار في حكم الدين ، ومن خلال هذا العرف يعرفون الحلال والحرام ، والمباح والمحرم ، ولقد كانت أحكام أسيادهم هي التشريع والافتاء والحق ديناً ودنيا^(٥) . وتلك الأعراف كانت معروفة من قِبَل الأفراد المتعاملين بها ، وكانت تنتقل اليهم بالتربية التي يتلقونها كل يوم . ولم يكن زعيم القبيلة يحتاج إلى توضيحها أو إلى توضيح سياسته التي ينتهجها بالحكم ، لأنه كان يسير على خطه أسلافه الواضحة والمعروفة .

وقد اختلف هذا الواقع بعد توحيد القبائل في ظل الدولة الإسلامية ذات الدستور الجديد والنظام السياسي والاداري الواضح . وصار الحاكم -الوالي- يعين من قِبَل الخليفة على مدينة ، أو ولاية ، قد يكون غريباً عنها . وحتى الخليفة نفسه كان يتسلم مقاليد الخلافة بطريقة جديدة لم تكن معروفة من قبل . وقد أوجد ذلك كله ضرورة إطلاع الحاكم رعيته على السياسة التي سينتجها أو الخطة التي سيسير عليها ، في ظل النظام الاسلامي الذي جعل أمرهم شوري بينهم ، يستشيرهم في ما يعترضه من أمور وخطوب ، ويسترشد برأيهم . ولم تكن هناك وسيلة أفضل من الخطابة للتعبير عن ذلك كله .

وهكذا تناولت الخطابة السياسية جميع الموضوعات المتعلقة بشؤون الدولة وأمورها العامة ، سواء أكانت تلك الموضوعات داخلية أم خارجية . فقد تعرضت الخطابة للحديث عن خطة الحكم من الناحية السياسية والدينية ، ومن الناحية الاقتصادية في بعض الأحيان . كما تعرضت لما يتعلق بالحكم ، وما يرتبط به ، كالحديث عن أحقية هذا أو ذاك في الخلافة ، والحديث عن الواجبات المترتبة على الحاكم والرعية ، كل منهما تجاه الآخر وتجاه الدولة . كما تناولت توضيح الملابس الحاصلة في بعض الفتن والأحداث ، ولا سيما في الفتنة التي أودت بحياة الخليفة الثالث عثمان بن عفان (ر) . كذلك كانت نتيجة التحكيم المشهورة ، التي قضت بعزل علي (ر) وتثبيت معاوية ، من الأحداث الهامة التي تناولتها الخطابة السياسية ، فأعلن أصحاب علي (ر) بطلانها لمخالفتها الحق ، وأعلنوا عدم التزامهم بها ، بينما اعتبرها معاوية وأصحابه مكسباً سياسياً واتخذوها حجة ضد أولئك .

ويدخل في نطاق الخطب السياسية ، بمدلولها الواسع ، تلك الخطب التي أُلقيت لتشجيع المقاتلين ، قبيل الغزوات والمعارك والفتوحات ، وكذلك تلك الوصايا التي كان الخليفة ، أو الوالي ، يوصي بها قائد الجيش ، والتوجيهات التي كان يزوده بها ، وهو في طريقه نحو الغاية التي أرسل من أجلها ، وكذلك الوصايا أو التوجيهات التي كان الجنود يتلقونها من قوادهم .

ويمكن أن نقسم الخطابة السياسية في هذا العصر الى الأنواع التالية :

- | | |
|------------------------------|---------------------------------|
| ١ - الخطب السياسية الخالصة . | ٤ - خطب الخوض على الجهاد . |
| ٢ - المشاورات السياسية . | ٥ - الوصايا السياسية والحربية . |
| ٣ - المناظرات السياسية . | |

أولاً - الخطب السياسية الخالصة :

لم يكن للجماعة الإسلامية قبل الهجرة إلى المدينة كيان سياسي ، أو نظام إداري ، يقتضي وجود خطابة سياسية ، ولم يكن لها علاقات سياسية تهدف إلى تأسيس الدولة الإسلامية المستقبلية ، التي كان الرسول (ﷺ) يتطلع إليها ، فيما عدا بيعتي العقبة الأولى والثانية اللتين كانتا « حجر الأساس » في بنيان تلك الدولة ، وقد اتخذت البيعة الأولى منحىً دينياً خالصاً ، إذ بايعه الأنصار على عدم الاشراف بالله ، وعلى الامتناع عن الزنى أو قتل الأولاد . . . فان فعلوا شيئاً من ذلك فأمرهم الى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر (٦) .

أما في البيعة الثانية فقد ظهرت بوادر اتجاه سياسي في العلاقة بين الرسول (ﷺ) والأنصار ، لأن الإسلام كان قد انتشر في المدينة ، وصارت الهجرة إليها أمراً ممكناً . فكان على الرسول (ﷺ) أن يستوثق من جماعة الأنصار له وللمسلمين إذا هاجروا إلى المدينة . وهكذا بايعهم على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم (٧) . وطمأنهم (ﷺ) من جانبه حين استوثقوا لأنفسهم منه ، وسألوه عن بقائه معهم مهما جرى ، وعدم التخلي عنهم ، فقال (ﷺ) : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتكم ، وأسالم من سالتكم » (٨) .

وقد خلّفت بيعة العقبة الثانية خطباً قليلة ، يمكن لنا بشيء من التوسع أن ندخلها في إطار الخطب السياسية . منها خطبة العباس بن عبدالمطلب ، وكان ما يزال على دين قومه ، إلاّ أنه أحب أن يتوثّق لابن أخيه ويحضر البيعة معه ، فقال مخاطباً الأنصار : « يا معشر الخزرج ، إن محمداً منّا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، والللحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له ، بما دعوتموه إليه ، وما نعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك . وإن كنتم ترون أنكم مُسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده » (٩) .

ومن تلك الخطب أيضاً خطبة العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري، التي توجّه بها الى الخزرج ، لتنبيههم الى خطورة الأمر الذي هم فيه . وما يترتب عليه من واجبات ثقيلة ، قد يكون الانفعال الديني حال بينهم وبين ادراكها أو الانتباه اليها (١٠) .

وطبيعي أن تدور موضوعات هذه الخطابة حول توثق كل طرف من التزام الطرف الآخر به ، والتزام كل طرف واستعداده لتحمل تبعات هذا الالتزام . وكان الرسول (ﷺ) والأنصار يدركون أن احتضان المدينة للدعوة الجديدة ، التي حاربتها قريش وحاولت قتلها في المهد ، سيقودها إلى مواجهات وأزمات . والواقع أن تنفيذ المعاهدة كان يعني وجود دولة إسلامية ستشكل خطراً على الكيانات السياسية الموجودة في الجزيرة العربية ، وعلى الأنظمة القائمة فيها ، وهذا سيؤدي إلى نشوب حروب كثيرة على الدولة أن تخوضها ، ويجب على الطرفين المتعاهدين أن يدركا ذلك ، وأن يكونا على استعداد كامل له ، لأن إخلال أي منهما بوعده سيكون له نتائج لاتحمد عقباها .

لكن النشاط السياسي المكثف كان بعد الهجرة إلى المدينة ، إذ كان على الدولة الإسلامية أن تحدد علاقاتها مع الآخرين ، وأن تقوم بالدور المرجو منها في أن تكون مركزاً لنشر الدين الجديد ، ونواة للدولة الإسلامية المنشودة . على الرغم مما سيعترضها في تنفيذ هذه المهمة من عقبات ليس من السهل تذليلها . وعلى الرغم من أن إطار العلاقات السياسية أخذ في الاتساع حتى وصل إلى

الروم والفرس بعد الحديبية ، فانه لم تصلنا خطابة إسلامية سياسية تعود إلى ذلك العهد . فالعلاقات السياسية كانت تأخذ طابع المعاهدات والمواثيق المكتوبة ، والموقع عليها من قبل الجانبين . وكانت أحياناً أخرى في شكل رسائل ، بسبب البعد ، وعندئذ يغلب أن تحمل دعوة إلى الدين . وفي الحالتين لا تستطيع الخطابة أن تقوم بالدور المطلوب . ولكن هذا التعليل لا يكفي لنفي ضياع بعض الخطب التي قيلت في هذه المناسبات أمام المسلمين ، على الأقل . وهكذا ينتهي عهد النبوة من دون أن نجد للرسول (ﷺ) أو لأحد ولاته خطبة سياسية خالصة .

لكن ما افتقدناه في عهد النبوة يطالعنا في عهد الخلفاء الراشدين (ر) ، إذ أخذ الخلفاء والولاة يوضحون عند وصولهم إلى السلطة خطتهم في الحكم ، والسبيل التي سيسلكون في التعامل مع الرعية ، دون إشارة من قريب أو بعيد إلى ذكر سياسة الدولة الخارجية . ومن أمثلة ذلك خطبة أبي بكر الصديق (ر) التي ألقاها بعد البيعة والتي يقول فيها بعد حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله : « أما بعد أيها الناس ، فاني قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فاعينوني ، وإن أسأت فقوّموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قويّ عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذلّ ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمّهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطيع الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » (١١)

وفي معظم الأحيان كانت تسير خطب هذه المناسبات على هذه الشاكلة ، ونلاحظ غلبة الطابع الديني عليها . بل إنها قد تتحوّل إلى خطبة دينية خالصة في بعض الأحيان ، كما نجد في خطبة عبادة بن الصامت في أهل حمص - وكان عمر بن الخطاب (ر) قد استعمله عليهم - إذ لا نجد ذكرها فيها لخطة الحكم أو غير ذلك من الأمور المتعلقة بالسياسة ، وإما نراه يحذرهم من غرور الدنيا ، ويذكرهم بالآخرة والحساب ، ويدعوهم إلى العمل الصالح (١٢) . ولا غرو في ذلك فقد كانت شخصية الحاكم دينية سياسية في آن .

غير أن أحوال العصر السياسية ، والفتن ، التي سبقت عهد علي بن أبي طالب (ر) كان لا بد أن تترك أثرها في خطبته التي ألقاها بعد توليه . فهو لا يوضح خطته في الحكم ، ولا يدعو الناس إلى العمل الصالح أو يذكرهم بالآخرة ، كما فعل أسلافه ، وإنما يستكشف صورة المستقبل من خلال أحداث الحاضر ، ويخبر الناس بما تحمله الأيام المقبلة من عذاب ، ومن خروج عن النهج الصحيح الذي رسمته الشريعة الإسلامية ، فيقول : « ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيّه » . والذي بعثه بالحق لتبليكن بلبلة وتنفركن غربلة ، ولتساطن سوط القدر ، حتى يعود أسفلكن أعلاكمن ، وأعلاكمن أسفلكن ٠٠٠ » (١٣) .

والواقع أن تلك الفتن والأحداث نحت بالعلاقة مع السلطة منحى آخر لم يكن معهوداً من قبل في دولة المسلمين ، فترك ذلك أثره في ظهور ظاهرة جديدة في خطب هذه المناسبات ، لم تكن معروفة من قبل ، وهي التهديد . وتتجلى هذه الظاهرة بوضوح في خطبة سعيد بن العاص الذي أرسله عثمان (ر) والياً على الكوفة ، فحاول منذ وصوله أن يرمي الرعب في قلوب أهل الكوفة ليضمن طاعتهم وكانوا معروفين بأنهم لا يرضون عن أمير ، ولذلك لم يطيل خطبته فيهم ، ولم يدعهم إلى الصلاح والورع ، وإنما عبّر عن خطته بإيجاز قائلاً : « والله لقد بُعثت إليكم وإني لكاره ، ولكني لم أجد بداً إذا أمرت أن أتّم ، ألا إن الفتنة قد أطلعت خطمها وعينيها ، والله لأضربن وجهها حتى أقمعها أو تعييني ، وإني لرائد نفسي اليوم » (١٤) .

وكما كان الخليفة يشير إلى خطته في الحكم ، كان يشير في بعض الأحيان إلى ما أنجزه من مهام ، وما قام به من أعمال ، كما نرى في خطبة عمر بن الخطاب (ر) التي ألقاها عندما أراد القفول من الشام ، وكان فيها ، إذ أشار إلى أنه أعطاهم حقوقهم بالعدل ، وأمنّ لهم سبل الدفاع ، وأمر ولاتهم بالسير فيهم بالعدل (١٥) .

كذلك كان على الخليفة أن يشير إلى نتائج الحروب والفتوحات التي كانت تقوم بها الجيوش الإسلامية ، إذ كان عليه أن يحيط بالرعية علماً بما يحدث على الجبهات البعيدة ، والخطابة هي وسيلة الاعلام التي كانت تقوم بهذه المهمة .

ولكن الخطابة السياسية اتجهت إلى أفق جديد بتأثير الأحداث السياسية

والاضطرابات الداخلية التي شهدتها الدولة الإسلامية في أواخر عهد عثمان (ر) وبعد أن كان الخليفة يدعو الناس إلى مساعدته في إنجاز مهامه ، وتقويمه إذا حدث به الغفلة قليلاً عن الصراط المستقيم ، نرى عثمان (ر) عندما أحسّ بخطر الفتنة يهدّد ويتوعد ظناً منه أن في ذلك رادعاً كافياً لمن يفكر بالخروج على طاعته . وهو يشير أيضاً إلى أنصاره وكثرتهم وقوتهم ، ويدافع عن نفسه ، ويرد على المآخذ التي أخذت عليه فيقول : « أما والله لقد عبتم عليّ ما أقررتم لاين الخطاب بمثله ، ولكنه وطنكم برجله ، وضربكم بيده ، وقمعكم بلسانه ، فدنتم له على ما أحببتكم وكرهتم . ولينّت لكم ، وأوطأتكم كنفي ، وكففت يدي ولساني عنكم ، فاجترأتم عليّ . أما والله لأنا أقرب ناصراً ، وأعزّ نفراً ، وأكثر عدداً ، وأحرى إن قلت هلمّ أن يُجاب صوتي ، ولقد أعددت لكم أقراناً وكشّرت لكم عن نابي . » (١٦) .

وهكذا يرى عثمان (ر) أن السر في الهدوء الذي ساد عهد عمر (ر) يرجع إلى استخدام عمر (ر) للقوة والقمع ، فيقرر استخدام هذا السلاح والتخلي عن الليونة التي جرّأت الناس عليه ، كما يقول . لكن الأحداث كشفت له أنه لم يضع يده على « السر الحقيقي » وأن التهديد بالقوة والعنف كان يستفز الناس أكثر مما يخيفهم ، وأن زمام الأمور خرج من يده ولن يفيدته تبديل السياسة شيئاً .

وهذه اللهجة القاسية تعود إلى الليونة ، بعد أن طال الحصار عليه ، دون أن تأتي قنات من الأمصار لنجدته ، ويكتشف أن الآمال التي بنى عليها كلامه كانت سراباً خادعاً ، وأنه ليس أقمن ، إن قال : هلمّ ، أن تجاب دعوته من عمر ، لأنه ، كما يبدو ، كان معتمداً على أسرته الأموية التي قرّبها ، فكانت سبباً في تفاقم الفتنة ، وكانت لها طموحاتها الخاصة ، وليست على استعداد للتخلي عنها ، بينما اعتمد عمر (ر) على بناء قاعدة جماهيرية صلبة وواسعة ، واستطاع ، بما آتاه الله من موهبة ، أن يقيم بين جماعاتها معادلة توازن دقيقة ولدت الأمن والاستقرار .

وبعد المفاجأة التي صدمت الخليفة عثمان (ر) تغيب عن خطابته أساليب التهديد والوعيد ، وتميل إلى المسالمة والمودعة ، فيعلن توبته بعد أن يعترف

بخطئه (١٧) . لكنه يرفض قبول طلب الثوار في التنازل عن الخلافة : « أما قولكم تخلع نفسك ، فلا أنزع قميصاً قمصنيّه ' الله عز وجل . . . » (١٨) . وهكذا يتمسك بنظرية الحق الالهي التي هي أقدم النظريات حول أساس السلطة (١٩) .

وبعد مقتل عثمان (ر) وتسلم عليّ (ر) الخلافة ، سادت حالة من التوتر على البلاد التي شهدت أحداثاً عظيمة ، وشهد المجتمع الاسلامي انقساماً بين مؤيد للخليفة الجديد ومعارض . وكان من شأن ذلك أن يدفع بالخطابة السياسية إلى آفاق جديدة ، وأن يمدّها بمقومات نموّها واكتمالها . لقد كان لكل فريق من المسلمين خطباؤه الذين يؤيدون موقفه ويرونه صواباً ، ويتّهمون الفريق الآخر ويدعون إلى مقاتلته . وكلّ يعرض حججه وإثباتاته . أما المعارضون لعليّ (ر) فكانت خطبهم في الحضرّ على الجهاد ، وسنشير إليها فيما بعد . أما خطابة عليّ (ر) وأنصاره فيمكن أن نشير إلى أبرز الأفكار التي وردت فيها ، والتي كان الخطباء يتكثرون عليها في مواجهة خصومهم :

١ - الاحتجاج لعق عليّ (ر) في الخلافة :

كان عليّ (ر) يرى أن الخلافة حقه الذي أخذ منه ، منذ وفاة الرسول (ﷺ) ، وهو يشير إلى ذلك كثيراً في خطابته ، وكذلك أصحابه . ويشير أيضاً إلى أنه صمت عن المطالبة بهذا الحق حرصاً على وحدة المجتمع الاسلامي ، الذي لم يكن قد بلغ درجة من التماسك والنضج تجعله قادراً على مواجهة أزمات داخلية . يقول عليّ (ر) : « إن الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قریش بالأمر ، ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة ، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين ، وسفك دمائهم . والناس حديثو عهد بالاسلام ، والدين يمنخض منخض الوطْب ، يفسده أدنى وهن . . . » (٢٠) .

كذلك يشير عليّ (ر) إلى أنه بعد تسلمه منصب الخلافة ، ووصوله إلى هذا الحق ، بمبايعة جمهور المسلمين ، الذين انثالوا عليه بعد مقتل الخليفة

السابق ، ورجوه أن يقبل تسلم الخلافة، خرج على طاعته جماعة منهم دون حق : « فلما نهضت بهذا الأمر نكثت طائفة ، ومركت أخرى ، وقسطن آخرون » (٢١) . وهذه الأفكار جميعاً تتردد في خطب أصحابه أيضاً .

٢ - الرد على المطالبين بدم عثمان (ر) :

تدبرُّ المعارضون لعلي (ر) في محاربتهم له ، بحجة الطلب بدم عثمان (ر) ، ورأوا في عدم القصاص من القتلة تقصيراً من علي (ر) ، ودليلاً على إدانته . فاتهموه بمشاركة القتالين فعلتهم بتحريضهم للقيام بها ، أو بالتستر عليهم . ورغم أن علياً وضَّح لطلحة والزبير موقفه ، وأشار إلى المخاطر التي ينطوي عليها القصاص ، والمشاكل التي يجرّها إلى المسلمين وإلى الدولة الإسلامية (٢٢) ، فانهما - رغم إظهار الموافقة على موقفه وعلى رأيه - لم يجدا بداً من الخروج عليه ، مشدودين ببريق مطامحهما السياسية ، والتي يتعذر الوصول إليها دون التغلب على الخليفة الصارم . وقد وجدوا أن إثارة المشاعر الدينية أيسر السبل وأكثرها نجاحاً ، في استقطاب الجماهير ، وإيجاد القوة اللازمة لتحقيق ذلك . فرفعوا شعار المطالبة بدم عثمان (ر) .

ولم يكن علي (ر) وأصحابه يجهلون الدوافع الحقيقية للاتهامات التي يوجهها المعارضون ، والشعارات التي ينادون بها ، فراحوا يردّون عليهم ويفنّدون مزاعمهم ، ويذكرون موقفهم من عثمان (ر) أثناء الفتنة ، وأنهم لم يكونوا مناصرين . ويشير الأشترا النخعي إلى أن طلحة والزبير أول من ألَّب الناس على عثمان (ر) ، وأول من سعى ضده ، فان كانا صادقين فيما يدعوان إليه فليقتصما من نفسيهما أولاً : « فان زعما أنهما يطلبان بدم عثمان فليُقيدا من أنفسهما ، فانهما أول من ألَّب الناس عليه ، وأغرى الناس بدمه . . . » (٢٣) .

٣ - الطعن في الخصوم :

تشير خطابة علي (ر) وأنصاره إلى أن المعارضين لعلي قد خرجوا عن الحق حين نكثوا البيعة ، وخرجوا عن طاعة الخليفة الشرعي - الذي اختاره

المسلمون - ظلماً . ولم يكن همّهم الطلب بدم الخليفة المقتول ، كما يدعون ، وإنما كان سعيهم لأرب أخرى شخصية . يقول علي في خطبة له : « وإنما طلبوا هذه الدنيا حسداً لمن أفاءها الله عليه ، فأرادوا الأمور على أدبارها » (٢٤) .

وكما استغل خصوم علي (ر) وجود السيدة عائشة أم المؤمنين (ر) في صفوفهم ، لاثارة المشاعر الدينية في الجماهير ، واستمالتهم ، وإقناعهم بشرعية موقفهم وعدالته ، لما تحمله من معان دينية لكونها زوجة الرسول (ﷺ) ، حاول علي (ر) وأصحابه استغلال فعلة طلحة والزبير بإخراج أم المؤمنين (ر) معهما إلى ساحة الحرب ، وتعريضها للمشقة والخطر ، في حين تركا نساءهما في بيوتهما بعيداً عن ذلك . يقول علي (ر) : « فخرجوا يجرون حرمة رسول الله (ﷺ) كما تُجر الأمة عند شرائها ، متوجهين بها إلى البصرة ، فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزنا حبس رسول الله (ﷺ) لهما ولغيرهما ... » (٢٥) .

٤ - تأنيب علي (ر) لأصحابه ، ولا سيما بعد التحكيم :

انطفأت جذوة الحماسة ، أو كادت ، في نفوس أغلب المقاتلين العراقيين ، بعد أن دبّ الخلاف في صفوفهم ، إثر دعوة معاوية للتحكيم ، وبعد أن ملّ العراقيون الحرب الطويلة .

لقد كثف معاوية نشاطه بعد التحكيم ، سياسياً وعسكرياً ، ضد علي (ر) ، محاولاً استغلال الأوضاع التي آل إليها جيش العراق إلى أبعد حدٍّ ممكن . ولم يكن علي (ر) قادراً على إحباط محاولات معاوية وجهوده ، بسبب الحالة التي آل إليها جيشه ، فكان يتألم لتناقل أصحابه عن الجهاد ، ومخالفتهم له في الرأي ، ويؤنبهم لتفرقهم عن حقهم واجتماع أصحاب معاوية على باطلهم (٢٦) . وهو دائماً يشير في تأنيبه لأصحابه إلى أن أصحاب معاوية سينتصرون على أصحابه ، ليس لأنهم أكثر قوة أو أقرب إلى الحق ، ولكن لطاعتهم صاحبهم ، وتمسكهم به ، وعدم مخالفتهم لشيء من أوامره ، وينظر علي بكثير من الحسرة والألم إلى هذه المفارقة في تفرق أصحابه عنه ، وهو على الحق ،

واجتماع أهل الشام على معاوية ، وهو على الباطل ، حتى ليتمنى أن يبادله معاوية الرجال فيأخذ منه عشرة ويعطيهم رجلاً واحداً ، فيقول : « أيها القوم الشاهدة أبدانهم ، الغائبة عنهم عقولهم ، المختلفة أهواؤهم ، المبتلى بهم أمراؤهم ، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه ، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه ! لوددت والله أن معاوية صار فني بكم صرف الدينار بالدرهم ؛ فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم » (٢٧) .

والواقع أن مشكلة التحكيم أوجدت أفكاراً جديدة تتردد في خطابة علي (ر) السياسية غير تأنيبه لأصحابه . فلم يكن لانفصال جماعة الخوارج عن جيشه أثر عسكري وحسب ، وإنما كان له أثره السياسي أيضاً . فقد طرحت أكثر من إشارة استفهام حول صحة موقف علي (ر) من التحكيم ، وأخذت الثقة تتزعزع في النفوس ، حتى إن رجلاً من أصحابه قام إليه فقال : « نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها ، فلم ندر أي الأمرين أرشد » (٢٨) .

حاول علي (ر) أن يعيد جماعة «الخوارج» إلى صفوفه ، فراح يدعوهم إلى عدم الفرقة ، ويبين لهم صحة موقفه محتجاً على ذلك بالقرآن الكريم والحديث الشريف (٢٩) ، ويذكرهم بأنهم هم الذين طلبوا التحكيم (٣٠) .

وبعد إعلان نتيجة التحكيم يعترض علي (ر) وأنصاره على النتيجة ، بحجة أن الحكمين نقضوا العهد الذي أعطياه ، وحكما بأهوائهما وليس بالقرآن . فكانت هذه الأفكار تتردد في خطاباتهم السياسية . يقول الحسن بن علي (ر) : « أيها الناس ، قد أكثرتم في أمر أبي موسى وعمرو ، وإنما بُعثا ليحكما بالقرآن دون الهوى ، فحكما بالهوى دون القرآن . . . » (٣١) .

ولا تخلو خطب علي السياسية من إشارات إلى إصراره على متابعة قتال المنشقين عنه حتى يرجعوا عن الباطل ويقوم الحق (٣٢) .

ثانياً - المشاورات السياسية :

والمشاورات هي أحد أصناف المخاطبات عند المنطقيين (٣٣) ، ولكنهم يعنون بهذا الاسم شيئاً أوسع مما نريده نحن هنا ، إذ يرون أنها الخطب التي تعالج

أمرأ غير حاصل فعلاً ، ولكنه يحصل في المستقبل (٣٤) . ويرون أن غاية الخطيب منها « إقناع الجمهور على فعل ما هو خير لهم وفيه مصلحتهم ، والإقلاع عن المساويء والشرور وما يضرهم » (٣٥) .

أما ما نعينه هنا بخطب المشاورات فهي تلك الخطب التي قيلت في معالجة أمر من الأمور الواقعة الآن أو التي قد تقع في المستقبل بهدف الوصول إلى قرار موفق وصائب . فقد كانت خطورة الأحداث السياسية التي شهدتها صدر الاسلام تدعو الحاكم في أغلب الأحيان لاستشارة ذوي الرأي من المسلمين ، وتبادل الآراء معهم ، في محاولة للوصول إلى اتخاذ القرار المناسب بشأن هذا الحدث أو ذاك . وكان الرسول (ﷺ) يستشير أصحابه دائماً عندما يتعرض المسلمون لأمر هام (٣٦) ، وعلى ذلك سار الخلفاء الراشدون (ر) وولاتهم .

ولم يكن من الضروري أن تعقد مجالس خاصة يختلي فيها ذوو الرأي والتشاور ، فكثيراً ما كان يتم هذا الأمر في المساجد ، أو في ساحات القتال أمام الملأ ، إذ يخطب الحاكم - أو القائد - مُعلنًا ما يعقد العزم عليه ، وطالباً الرأي والنصيحة من ذوي الرأي ، فيقوم هؤلاء ويدلون بأرائهم ، وكثيراً ما تكون ردودهم بشكل خطبة يؤيدون فيها فكرته ، ويشجعونه على المضي فيما يراه ، أو يعترضون ، وعندئذ يقدمون آراءهم واقتراحاتهم التي يرونها أفضل أو أكثر جدوى . وفي كثير من الأحيان كان هؤلاء يعرضون آراءهم إزاء هذا الحدث أو ذاك من الأحداث الجارية دون دعوة لاستشارتهم (٣٧) .

ومن تلك المشاورات ما كان بين الرسول (ﷺ) وأصحابه قبيل معركة أحد ؛ فقد رأى (ﷺ) رؤيا ، فلما أصبح واجتمع المسلمون ، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، إني قد رأيت في منامي رؤيا ؛ رأيت كأنني في درع حصينة ، ورأيت كأن سيفي ذا الفقار انفصم من عند ظبتي ، ورأيت كأنني مردف كبشاً . فقال الناس : يا رسول الله فما أولتَها ؟ قال : أما الدرع الحصينة فالمدينة ، فامكثوا فيها ، وأما انفصام سيفي عند ظبته فمصيبة في نفسي ، وأما أني مردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله » (٣٨) ،

وقال (عليه السلام) لأصحابه أشيروا عليّ ، فقام رجال منهم وخطبوا معبرين عما يروونه مناسباً (٣٩) .

ومن تلك المشاورات أيضاً ما كان بين أبي بكر الصديق (ر) وبعض أصحابه عندما أراد أن يجهز الجيوش الى الشام (٤٠) ، وما كان بين عمر (ر) وأصحابه عندما علم بتجمع جموع الفرس بنهاوند (٤١) ، وكذلك ما كان بين علي (ر) وأصحابه عندما أرادوا المسير الى أهل الشام (٤٢) . وغير ذلك كثير .

ويلاحظ أن خطب المشاورات التي قيلت في الحروب الداخلية تتعرض لذكر الخصوم ونياتهم وأفعالهم وأهدافهم ومثالبهم . . . بخلاف خطب المشاورات التي قيلت حول الفتوحات ، فهذه الأخيرة لم تتعرض لذكر الخصوم إلا من حيث قوتهم ، وهذا الأمر يعود إلى الاختلاف الكبير بين الحربيين ، وذلك لأن الحروب الداخلية كانت بين المسلمين أنفسهم ، وكل فريق من المتحاربين يعرف الكثير عن الفريق الآخر . ومن جهة أخرى كان على كل فريق أن يسعى لاعطاء موقفه صفة الشرعية ، ويوضح المسوّغات التي تبيح له محاربة ذلك الفريق المسلم .

وفي كثير من الأحيان نلاحظ أن الحاكم كان يقوم ، بعد أن يستمع إلى الآراء كافة ، فيخطب في القوم موضعاً رأيه الذي استقرّ عليه بعد الشورى والأمر الذي عقد العزم عليه (٤٣) .

وكثيراً ما كانت هذه الخطب تقصر حتى لا تكون أكثر من عبارات قليلة ، يوجز فيها الخطيب قراره الذي اتخذه ، كقول علي (ر) بعد استشارة أصحابه في المسير إلى الشام : « سيروا إلى أعداء الله ، سيروا إلى أعداء السنن والقرآن ، سيروا إلى بقية الأحزاب ، قتلة المهاجرين والأنصار » (٤٤) .

ثالثاً - المناظرات السياسية :

هذا النوع من الخطابة السياسية عرفه صدر الاسلام ، ولجأ إليه الخطباء المسلمون ، لكن ملامحه لم تتضح بشكل جلي إلا في العصر الأموي ، إذ صار المسلمون شيعاً وأحزاباً ، كل يدعي أن الحق إلى جانبه ، وأنه على صراط

مستقيم • واقتضى ذلك الاهتمام بالحجج الدامغة ، والجدل ، لاقتناع الخصوم
بضعف مذهبهم •

ومع ذلك فقد شهد صدر الاسلام أحداثاً ومواقف دفعت بالخطباء المسلمين
إلى الاعتماد على هذا الفن ، ولعل من أهم تلك الأحداث ما جرى بين المهاجرين
والأنصار في سقيفة بني ساعدة ، يوم توفي النبي الكريم (ﷺ) وطرحت مسألة
الحكم للمناقشة بصوت مسموع (٤٥) •

ومن المناظرات المشهورة أيضاً ما كان بين علي بن أبي طالب (ر) والخوارج
في أمر الحكومة ، في أعقاب حرب صفين • فقد اعترض هؤلاء على التحكيم واعتزلوا
علياً (ر) وجماعته ، وشكلوا فريقاً ثالثاً من المسلمين له تقويمه الخاص
للأمور • ومع أن الخلاف قد يبدو حول مسألة دينية فانه اتخذ شكل الموقف
السياسي ، ولا غرابة في ذلك إذ إن « الجماعة السياسية » في الاسلام
انبثقت من الجماعة الدينية » (٤٦) •

وقد حاول علي (ر) أن يعيد هذه الجماعة الى صفوفه ، لأنه كان بحاجة الى تلك
القوة البشرية من جهة ، وكان بحاجة الى تركيز جهوده واهتمامه على الجبهة الشامية
من جهة أخرى ، اذ لم يكن في صالحه أن يوزع اهتمامه وجهوده بين محاربة الخوارج
ومحاربة معاوية • ثم انه خشي من انتشار المعارضة بين صفوف قواته من جهة ثالثة •
ولذلك خرج الى معسكرهم أكثر من مرة وناظرهم (٤٧) •

كذلك أرسل إليهم ابن عباس لمناظرتهم غير مرة • ولما كان موقفهم السياسي
ناشئاً عن فهم ديني خاص لمشكلة التحكيم ، فقد كان من الطبيعي أن يبحثوا هذه
المسألة السياسية من وجهة نظر دينية • وفي مناظرات ابن عباس لهم ما يعطي
صورة واضحة عن المناظرات في هذا العصر (٤٨) •

وقد كان المتناظرون يعتمدون في مناظراتهم على ثقافتهم العربية المستمدة
من التراث الجاهلي ومن الدين الاسلامي الجنيف ، وتظهر في مناظراتهم طبيعتهم
العربية في المناقشة والاحتجاج •

رابعاً - خطب الحضر على الجهاد :

كانت المعارك التي دارت رحاها بين المسلمين والمشركين في عهد النبوة ، والفتوحات الإسلامية الواسعة في عهد الخلفاء الراشدين (ر) ، سبباً لازدهار هذا اللون من الخطابة ، ثم جاءت الحروب الداخلية ، بين المسلمين أنفسهم لتساهم بدورها في هذا الازدهار .

فقد كانت تلك الأحداث الهامة تستدعي خطباً تذكي الحماسة في نفوس المقاتلين ، وتثير فيهم مواطن الرجولة والشجاعة ، وتعمق في أنفسهم قداسة الأمر الذي يقاتلون من أجله وعظمته ، وتغريهم بالأجر العظيم الذي سيفوزون به . ولا ريب في أنه كان لهذه الخطابة أثرها الكبير في الانتصارات التي تحققت . فالعربي معروف بسرعة انفعاله وتأثره ، وكانت الكلمة الرائعة ، شعراً أو نثراً ، تفعل فيه ما لا يستطيع أن يفعله شيء آخر . فليس من الغريب ، بعد ذلك ، أن يصل إلينا ، رغم عوادي الزمن ، كم هائل من خطب الحضر على الجهاد .

ونستطيع أن نقسم هذه الخطب إلى قسمين رئيسيين تبعاً لنوعية الحروب التي قيلت فيها :

- أ - خطب المغازي والفتوح
- ب - خطب الحروب الداخلية

أ - خطب المغازي والفتوح :

لم يصل إلينا من عهد النبوة خطب من هذا اللون تكفي لاعطاء صورة واضحة عنها . والأرجح أنها لم تكن تختلف كثيراً عن الخطب التي قيلت في عهد الخلفاء الراشدين (ر) ، ولكي نكون أكثر دقة يجب أن نستثني من هذا الحكم خطبة الرسول (ﷺ) التي قالها يوم أحد والتي يوصي فيها المسلمين بوصايا كثيرة لا علاقة لها بالتحريض (٤٩) .

وفي هذا النوع من الخطب يعمد الخطيب إلى تشجيع المقاتلين وترغيبهم

في القتال في سبيل الله ، إعلاءً للكلمة الحق ونشر الدين الاسلامي . فيذكر لهم فضل الجهاد ، ونعيم الآخرة العظيم الدائم ، ومنزلة الشهيد والشهادة عند الله عزّ وجل ، ويعمد الخطيب أحياناً إلى ذكر الغنيمة التي قد يصيبها المقاتلون ، والكسب الذي يكسبونه من نعيم الدنيا في حال الانتصار . وكذلك يدعوهم إلى الثبات والصبر ، ويقبّح لهم الفرار ، ويهوّن من شأن الأعداء وعددهم وعدّتهم ، ويبشّر بنصر الله الذي وعدهم الله تعالى به . وهو في ذلك كثيراً ما يستشهد بالآيات القرآنية التي تشير إلى الجهاد ، وإلى الوعد بالنصر والشواب .

ومن ذلك خطبة سعد بن أبي وقاص في يوم أرمات - وهو اليوم الأول من أيام القادسية ، سنة ١٤ هـ - إذ قال بعد حمد الله والثناء عليه : « إن الله هو الحق لا شريك له في الملك ، وليس لقوله خلف ، قال جل ثناؤه : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ، وإنّ هذا ميراثكم وموعد ربكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج ، فأنتم تطعمون منها وتأكلون منها ، وتقتلون أهلها ، وتجبونهم ، وتسبونهم ، إلى هذا اليوم ، بما نال منهم أصحاب الأيام منكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم ، وخيار كل قبيلة ، وعزّ من وراءكم ، فان تزهّدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ، ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله ، وإن تفشلوا وتهنّوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم » (٥٠) .

ونلاحظ كيف أن سعداً حاول أن يتوسل بكل ما من شأنه أن يذكّي الحماسة في نفوس المقاتلين ، حتى العصبية القبلية ، حيث أشار إلى أنهم وجوه قبائلهم وعزّ من وراءهم . ولم يكن يجهل ما لهذه الاشارة من أثر في جعلهم يبذلون كل ما بوسعهم من قوة في سبيل النصر

وهذه الاشارة إلى العصبية القبلية تبدو بوضوح أكثر في خطب أخرى ، كخطبة جرير بن عبد الله البجلي الذي وجه خطبته إلى قومه مبتدئاً بهذا النداء : « يا معشر بجيلة » (٥١) ، ثم راح يرغبهم في الغنائم ، ويحرضهم على القتال . وعلى الرغم من أنّ هذه الاشارات لا ترقى إلى مستوى الظاهرة ، فانها تظل شاهداً حياً على حياة العصبية القبلية التي لم يستطع الاسلام أن يجتثها من جذورها .

وقد يلجأ الخطيب إلى أسلوب آخر في تحريض المقاتلين على القتال ، وذلك بذكر حقد الأعداء عليهم واستعدادهم التام لقتالهم ، مع الإشارة إلى عدم إمكانية الاستعانة بقوات إسلامية أخرى ، فليس لهم إلا السيف جُنَّة ، ولا ينفعهم إلا الصبر والثبات . وهذا ما فعله أبو سفيان بن حرب يوم اليرموك ، وكان يومئذٍ يسير في الناس ، ويقف على أهل كل راية ، وعلى كل جماعة فيحرّض الناس ، ويحضهم ويقول : « إنكم يا معشر المسلمين أصبحتم في دار العجم ، منقطعين عن الأهل ، نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين . وقد والله أصبحتم بازاء عدو كثير عددهم ، شديد عليكم حنقهم ، وقد وترتموهم في أنفسهم ونسائهم وأولادهم وبلادهم ، فلا والله لا ينجيكم منهم اليوم ، وتبلغون رضوان الله ، إلا بصدق اللقاء ، والصبر في مواطن المكروه . فامتنعوا بسيوفكم ، وتقربوا إلى خالقكم ، ولتكن هي الحصون التي تلجؤون إليها ، وبها تمتنعون » (١٥٢) .

ب - خطب الحروب الداخلية :

تركت الحروب الداخلية التي أضرمتها الفتن في عهد علي (ر) مجموعة من خطب الحز على الجهاد ، فقد راح خطباء كل فريق يحضون جماعتهم على قتال الفريق الآخر ، ويدعون أن قتالهم له جهاد في سبيل الله وفي سبيل إعلاء كلمة الحق ، وثوابه الجنة التي وعد الله تعالى المجاهدين بها ، ومن قُتل فهو شهيد له ما وعد الله الشهداء به ، وقد يستشهد الخطباء في خطبهم بالآيات القرآنية . غير أننا نلاحظ في خطب هذه الحروب أن لكل فريق أموراً يتمسك بها على أنها حجة يستعين بها على إثبات صحة موقفه وشرعيته ، وعلى إظهار جور الفريق الآخر ومجانبته للحق وخروجه عن الصراط المستقيم .

١ - فتنة أصحاب الجمل :

وفي هذه الفتنة نجد أن أصحاب الجمل يتذرعون بالطلب بدم عثمان (ر)؛ الخليفة الذي قتل مظلوماً ، ومن ذلك ما قاله طلحة في خطبة له ، بعد حمد الله والثناء عليه ، وذكر عثمان (ر) وفضله ، والبلد وما استغل منه ، وعظم ما أتى إليه : « إن في ذلك إعزاز دين الله عز وجل وسلطانه . وأما الطلب بدم الخليفة

المظلوم فانه حدّ من حدود الله ، وإنكم إن فعلتم أصبتم ، وعاد أمركم إليكم .
وإن تركتم لم يقم لكم سلطان ، ولم يكن لكم نظام » (٥٣) .

ولا ينسى الخطباء الاشارة إلى أفضال عثمان (ر) ، وأنّ الناس كانوا يتجنّون عليه ويتهمونه بما ليس فيه ، حتى إذا وجدوا القوة عليه قتلوه ظلماً (٥٤) .

أما أصحاب علي (ر) فيذكرون أفضاله ، ويشيرون إلى أنّ أعداءه يطلبون الدنيا ولا يطالبون بدم عثمان (ر) كما يزعمون ، وأن طلحة والزبير نكثا البيعة بغير حق ، وخرجا عن طاعة الامام الشرعي ظلماً وعدواناً . . . وقد تحدثنا عن ذلك عند حديثنا عن الخطابة السياسية الخالصة فلا داعي للتكرار هنا .

٢ - فتنة معاوية :

وفي خطب التحريض التي قيلت في هذه المرحلة ، تتردد بعض الأفكار التي طالعنا في خطب الفتنة السابقة . فنلاحظ أنّ أصحاب علي (ر) يذكرون أنّه على حق وتور وبران ، ويشيرون إلى فضله في الاسلام وإيمانه ، وأنّه ليس له هفوة ، إذ إنه أسلم صغيراً وعاش حياته كلها مسلماً . بينما كان معاوية على الشرك قبل إسلامه ، وفي صفوف أعداء الاسلام . وكذلك يتخذون من وجود جماعة من البدرين في صفوفهم حجّة لهم على صحة موقفهم ، ويشيرون إلى أنهم يقاتلون تحت رايات الرسول (ﷺ) بينما يقاتل أصحاب معاوية تحت رايات المشركين . يقول الأشتر النخعي : «معنا ابن عم نبينا ، وسيف من سيوف الله ، علي بن أبي طالب ؛ صلى مع رسول الله (ﷺ) ، لم يسبقه إلى الصلاة ذكر ، حتى كان شيخاً لم يكن له صبوة ولا نبوة . . . واعلموا أنكم على الحق ، وأن القوم على الباطل ؛ وإنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدرين قريب من مئة بدري ، سوى من حولكم من أصحاب محمد . أكثر ما معكم رايات قد كانت مع رسول الله ، ومعاوية مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . » (٥٥) .

كذلك يشيرون إلى أنّ علياً يقاتل على حقه ، بينما يدّعي معاوية ما ليس له ، ويزيّن الضلالة لأتباعه ، ويلبس عليهم الأمور . فهم يطلبون بدم ظالم ،

وصبرهم في القتال لا ينبع من صدق إيمانهم ، وإنما ينبع من الحمية الجاهلية التي ما زالت في نفوسهم . فهم يقاتلون من أجل الدنيا ، وقتيلهم لذلك ليس شهيداً ، ومصيره ليس إلى الجنة بل إلى النار . ولم ينس هؤلاء الخطباء الاستفادة من مساوئ الدولة الأمويين في زمن عثمان بن عفان (ر) ، فراحوا يذكرون الناس بها ، ويشيرون إلى أن انتصار معاوية يعني وصول من هم مثلهم سوءاً إلى السلطة ، مع ما يحمله ذلك كله من ظلم وتعسف . يقول يزيد بن قيس الأرحبي : «... فلو ظهروا عليكم - لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً - لزموكم بمثل سعيد والوليد وعبد الله بن عامر السفية الضمّال ... فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين ، الحاكمين بغير ما أنزل الله ، ولا يأخذكم في جهادهم لوم لائم ، فانهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم ... » (٥٦) .

كذلك لا يغفل الخطباء الإشارة إلى أن معاوية وأصحابه يتخذون من دم عثمان (ر) ذريعة لقتال علي (ر) ووسيلة لاستمالة الناس ، بينما هم في الحقيقة يطلبون الدنيا ومتاعها (٥٧) .

أما علي (ر) فكان يحذرهم من الفرار ، ويبشرهم بالنصر ، ويؤكد لهم أنهم على حق ، وأن أعداءهم على الباطل . وفي بعض الأحيان كان يشهد عزائمهم باعلان الرضى عن شجاعتهم وإقدامهم في ساحات الوغى (٥٨) .

أما معاوية وأصحابه فقد كان الثأر لعثمان (ر) ديدنهم ، فراحوا يطالبون به ، ويذكرون أنهم على حق ، وأن علياً (ر) على باطل ، لأنه نكث البيعة ، وسفك الدم الحرام . وإن لم يكن قتل عثمان (ر) ؛ فقد خذله ، وليس له في الحاليين عذر عند الله . كما أنهم يشيرون إلى مكانة عثمان (ر) ؛ فهو صهر الرسول (ﷺ) ، ومجهز جيش العسرة . فأما ما أخذ عليه من أخطاء فليس يعني أنه خرج عن الحق واستحق القتل قصاصاً ، فقد أذنب الأنبياء من قبل ، وهم خير منه وأعلى منه منزلة عند الله .

ولما فطن هؤلاء إلى أن حججهم الدينية لا تبلغ من القوة ما تبلغه حجج علي (ر) وأصحابه فقد اهتموا بأسلوب آخر ، وهو إظهار علي (ر) وأصحابه

بمظهر المعتدي الغازي الذي يطمع في الاستيلاء على الشام عنوة ، ولذلك ترك العراق ، وأتى إليها . ولا شك في أن هذا الأسلوب كان أكثر إثارة للحمية الجاهلية ، ولا سيما حين يشير الخطباء إلى الخطر الذي يحمله العراقيون على النساء والذراري . يقول يزيد بن أسد البجلي : « . . . ثم قد كان مما قضى الله أن جمعنا وأهل ديننا في هذه الرقعة من الأرض . والله يعلم أنني كنت لذلك كارهاً ، ولكنهم لم يبلعونا ريقنا ، ولم يتركونا نرتاد لأنفسنا ، وننظر لمعادنا ، حتى نزلوا بين أظهرنا ، وفي حريمنا وبيضتنا . وقد علمنا أن في القوم أحلاماً وطغماً ، فلسنا نأمن طغامهم على ذرارينا ونسائنا . وقد كنا نحب ألا نقاتل أهل ديننا فأخرجونا حتى صارت الأمور إلى أن قاتلناهم كراهية . . . » (٥٩) .

أما في تحريض المهزمين من ساحة المعركة على القتال ، ودعوتهم للصبر والثبات ، فكان الخطباء يعمدون إلى ذكر القوم بقبيلتهم ، وتذكيرهم بمكانتها ، وبتاريخها المفعم بالشجاعة والاقدام ، مع الإشارة إلى ما يحمله الفرار على القبيلة من العار ، ولكن دون إهمال المغريات الدينية إهمالاً تاماً ؛ كالتذكير بالجنة التي أعدت للمجاهدين والشهداء ، والتذكير بأن الفرار لا ينجي من قضاء الله (٦٠) . ويبدو أن الخطباء كانوا يرون في ذلك الفرار ضعفاً في إسلام المهزمين ، ولذلك فإن إثارة الحمية الجاهلية أكثر جدوى في تثبيتهم ، وإثارة حماسهم ، من إثارة العواطف الدينية .

ولم يكن التحريض على القتال وقفاً على الرجال ، فقد شاركت النساء في ذلك ، وتحريض النساء أمر معروف منذ الجاهلية ونجد اشارات اليه في الشعر (٦١) . وقد حفظت لنا كتب الأدب بعض خطب النساء المسلمات في التحريض ، وهي لنساء كنّ مع علي (ر) في صفين ، فكنّ يفعلن كما يفعل الرجال ، يذكرن علياً (ر) ومقامه وإيمانه ، ويشرن إلى بني أهل الشام وتفاقمهم ، ويذكرن بالجنة والثواب والنصر القريب ، ويدعين إلى الثبات والصبر (٦٢) .

وفي خطب الخض على الجهاد كثيراً ما يلجأ الخطيب إلى توصية الجند ببعض الوصايا الحربية التي من شأنها أن تزيد من شجاعتهم ، وتوقع الرعب في قلوب أعدائهم . كاتخاذ أوضاع معينة في القتال ، واتباع خطة محددة في مواجهة العدو .

وهناك لون آخر من خطابة الحض على الجهاد : وهو خطب الاستنفار للقتال . وهذا اللون يختلف عن خطب الحض على الجهاد قليلاً ، إذ إن خطب الاستنفار تكون قبل المعركة ، لكنه يتفق معها في الدعوة إلى الجهاد ، وذكر الجنة ونعيمها ، والشهادة ومنزلتها . وفي الفتن الداخلية كان الخطيب يشير إلى مثالب الأعداء في كثير من الأحيان ، ويؤكد للقوم أن قتالهم جهاد في سبيل الله . . . إلى غير ذلك من الأفكار التي تتردد في خطب الحض على الجهاد .

ففي الفتوحات يكون الجيش في أغلب الأحيان بعيداً عن مركز الخلافة ولذلك فإن الخليفة كان إذا أراد أن ينتدب وحدة مقاتلة إلى جهة معينة ، يرسل كتاباً إلى قائد الجيش يوضح فيه مراده ، فيقوم هذا بقراءة الكتاب على الجند ، ويوضح أمر الخليفة ، ويدعو الجند إلى الاستعداد للمشاركة في القتال . وإذا انتدب الخليفة الناس يوضح جهة الحرب ، وكثيراً ما يعطي تعليماته حول الأمراء ، ويوصي الجند بطاعتهم . وهذه الخطب ، في أغلب الأحيان تختتم بعبارة : « فانتدبوا رحمكم الله مع فلان » ، أو « فمن شاء أن ينفر فلينفر » ، أو « سيروا رحمكم الله إلى . . . » إلى غير ذلك من العبارات . ولا بأس أن نشير هنا إلى أن الرسول (ﷺ) لم يكن يحدد الوجهة التي يريد بها ، حين كان يستنفر الناس للجهاد . وإنما كان يكتفي عنها ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فانه بينها للناس « لبعد الشقة » ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذي يصمد له ، ليتأهب لذلك أهبطه » (٦٢) . وقد كان السبب في تكتم الرسول (ﷺ) أن الدولة الإسلامية لم تكن قد بلغت أشدها ، فكان (ﷺ) يخشى أن تنتقل الأخبار فيأخذ العدو أهبطه ، أو يبدأ المسلمين بالقتال .

أما في الحروب الداخلية فإن هذه الخطب كانت تبدأ في كثير من الأحيان بـ « يا أيها الناس . . » أو بنداء أهل مصر : « يا أهل الكوفة . . يا أهل البصرة » ، وقد ينادى باسم القبيلة صراحة ، ولا سيما إذا كان الذي يستنفر القوم رجلاً منهم ، وهو عندئذ يتبع الأسلوب الجاهلي في إثارة حماسهم ، فيذكر أنه يفاخر الناس بهم ، ويحضهم على سبق القبائل الأخرى إلى الفوز بهذا الفخر والفضل (٦٤) .

خامساً - الوصايا الحربية والسياسية :

أ - الوصايا الحربية :

وفي هذه الوصايا يوضح الموصي للقائد ، أو للجند عامة ، الخطة التي يجب عليهم أن يتبعوها في مواجهة الأعداء ، وكيف عليهم أن يتصرفوا إزاء بعض المواقف التي قد تواجههم . أو إزاء القوم المحاربين أنفسهم . وكثيراً ما كانت تقتزن هذه الوصايا في أيام الفتوحات بدعوة أصحاب البلد إلى الاسلام ، وبالتعامل معهم وفق الأخلاق الاسلامية .

كذلك كان الموصي يوصي القائد كيف يتصرف مع الجند الذين تحت إمرته ، مع تنبيهه إلى أنهم يقتدون به ويحتذون حذوه . وقد يفصل قليلاً فيوضح للقائد طريقة التعامل مع الجند بشكل دقيق يضمن له قيامهم بمهامهم على أكمل وجه ، كما يحافظ على تماسك الجيش وقوته . ومن ذلك وصية أبي بكر (ر) ليزيد بن أبي سفيان ، التي يقول فيها: « . . . واسمر بالليل في أصحابك تأتاك الأخبار ، وتنكشف عندك الأستار ، وأكثر من حرسك ، وبددهم في عسكرك ، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم . . . » وعقب بينهم بالليل ، واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة . . . » (٦٥) .

أما في الحروب الداخلية فكانت أغلب الوصايا تقال في ساحة المعركة وتأخذ شكل التوجيهات الحربية التي يلقيها القائد على الجند موضحاً كيفية بدء القتال ، وكيفية توزيع القوات . . .

بقي أن نشير إلى أن هذه الوصايا كانت تشتمل ، في كثير من الأحيان ، على وصايا اجتماعية أو دينية ولا سيما في الفتوحات ، بل إن بعض هذه الوصايا يأخذ منحى اجتماعياً ، فتبدو الوصية اجتماعية لا علاقة لها ، مباشرة ، بالحرب والقتال (٦٦) .

ب - الوصايا السياسية :

وكان الغرض منها تزويد الموصي له بأنجع الأساليب في التعامل مع الطرف الآخر ، وارشاده إلى السياسة المثلى التي تضمن له النجاح في المهمة الملقاة على عاتقه .

ومن هذه الوصايا وصايا الخلفاء لولاتهم ، أو لمن سيأتي بعدهم ويحل محلهم ، وفي هذه الحال تكون الوصية منهجاً للعلاقة بين الحاكم والرعية ، يفترض بالحاكم أن يلتزم به مدة حكمه . ومع أن الوصايا ، في هذا المجال ، تميل إلى القصر ، فإن المصادر حملت إلينا وصية طويلة لعمر بن الخطاب (ر) أوصى بها الخليفة من بعده . وهو يوصيه بالتقوى ، وبالمهاجرين الأولين ، وبأهل الأمصار والبادية ، وبأهل الذمة ، ويوضح له أسلوب التعامل مع الرعية بحيث يرضي الله ويرضي الناس (٦٧) .

ولما كان مفهوم الحاكم للسلطة هو الذي يحدد العلاقة بين السلطة والرعية فقد كان من الطبيعي أن يتبدل مضمون الوصية بين حاكم وآخر بشكل قد يكون كبيراً . فبينما نجد عمر (ر) يوصي خليفته بالمساواة بين الرعية ، والعدل ، نرى معاوية يهدف إلى تعزيز السلطة . ولذلك يوصي عمرو بن العاص عندما أرسله إلى مصر قائلاً : «... فاذا أنت ظهرت فليكن أنصارك أثر الناس عندك ، وكل الناس فأول حسناً» (٦٨) .

وقد تركت أحداث التحكيم بين الشام والعراق مجموعة من الوصايا السياسية التي وُجِّهت إلى الحكّامين . ونلاحظ أن الجانب السياسي يغلب عليها ، بينما كان يغلب الجانب الاجتماعي أو الديني على غيرها من الوصايا السياسية في هذا العصر .

هذه هي صورة الخطابة السياسية في عصر صدر الاسلام وهو عصر نشوء الخطابة الاسلامية ونموها ، وهي صورة واضحة الملامح ، بارزة القسمات ، تجعلنا نطمئن الى القول : ان عصر صدر الاسلام هو صاحب الفضل في وجود الخطابة السياسية الاسلامية وهو الذي منحها سماتها الأساسية التي لم يستطع الخطباء الأمويون - فيما بعد - أن يضيفوا اليها شيئاً ذا بال . واذا كان العصر الأموي هو العصر الذهبي للخطابة العربية فان الخطباء الأمويين مدينون بالكثير لأسلافهم من خطباء صدر الاسلام .

□ الحواشي :

- ٣٥- المرجع السابق : ٣٨٩ .
- ٣٦- انظر مثلاً السيرة النبوية : ٦٧/٣ .
- ٣٧- انظر مثلاً وقعة صفين : ٩٥ وما بعدها .
- ٣٨- شرح نهج البلاغة : ٢٢١/١٤ ، ٢٢٢ .
- ٣٩- انظر المصدر السابق : ٢٢٤/١٤ .
- ٤٠- انظر فتوح الشام : ٢ .
- ٤١- انظر تاريخ الرسل والملوك : ١٢٣/٤ .
- ٤٢- انظر وقعة صفين : ٩٢ .
- ٤٣- انظر مثلاً تاريخ الرسل والملوك : ٣٤٣/٤ .
- ٤٤- وقعة صفين : ٩٤ .
- ٤٥- انظر المناظرات التي دارت في السقيفة في تاريخ الرسل والملوك : ٢١٨/٣ وما بعدها ، وعيون الاخبار : ٢٣٣/٢ ، ٢٣٤ .
- ٤٦- الظاهرة الادبية : ٢٣ .
- ٤٧- انظر شرح نهج البلاغة : ٢٩٧/٧ و ١٠٣/٨ .
- ٤٨- انظر بعض مناظراته لهم في تاريخ الرسل والملوك : ٦٥/٥ .
- ٤٩- انظر الخطبة في شرح نهج البلاغة : ٢٣٢/١٤ ، ٢٣٣ .
- ٥٠- تاريخ الرسل والملوك : ٥٣١/٣ .
- ٥١- المصدر السابق : ٤٦٩/٣ .
- ٥٢- فتوح الشام : ١٩٧ .
- ٥٣- تاريخ الرسل والملوك : ٤٦٤/٤ .
- ٥٤- انظر مثلاً خطبة السيدة عائشة (د) في تاريخ الرسل والملوك : ٤٦٤/٤ .
- ٥٥- شرح نهج البلاغة : ١٩٠/٥ ، ١٩١ .
- ٥٦- تاريخ الرسل والملوك : ١٧/٥ ، ١٨ .
- ٥٧- انظر مثلاً خطبة عمار بن ياسر في المصدر السابق : ٣٩/٥ .
- ٥٨- انظر مثلاً في شرح نهج البلاغة : ١٧٩/٧ .
- ٥٩- وقعة صفين : ٢٤٢ .
- ٦٠- انظر مثلاً خطبة الاشتر النخعي في تاريخ الرسل والملوك : ٢٠/٥ .
- ٦١- انظر مثلاً معلقة عمرو بن كلثوم: الابيات ٨٣ الى ٨٨ حسب شرح التبريزي .

- ١- السيرة النبوية : ٨٥/٢ .
- ٢- المصدر السابق : ٩٠/٢ .
- ٣- انظر مروج الذهب : ٣٥٨/٢ .
- ٤- الخطابة العربية في عصرها الذهبي : ١٤٥ .
- ٥- اديان العرب قبل الاسلام : ١٥٣ .
- ٦- السيرة النبوية : ٧٥/٢ .
- ٧- المصدر السابق : ٨٤/٢ .
- ٨- المصدر السابق : ٨٥/٢ .
- ٩- المصدر السابق : ٨٤/٢ .
- ١٠- المصدر السابق : ٨٨/٢ ، ٨٩ .
- ١١- المصدر السابق : ٣١١/٤ .
- ١٢- انظر الخطبة في فتوح الشام : ٢٤٨ .
- ١٣- شرح نهج البلاغة : ٢٧٢/١ .
- ١٤- تاريخ الرسل والملوك : ٢٧٩/٤ .
- ١٥- انظر الخطبة في المصدر السابق : ٦٥/٤ ، ٦٦ .
- ١٦- شرح نهج البلاغة : ٢٦٥/٩ . وانظر تاريخ الرسل والملوك : ٣٩٩/٤ .
- ١٧- انظر خطبته التي يعلن فيها التوبة في تاريخ الرسل والملوك : ٣٩٩/٤ .
- ١٨- المصدر السابق : ٣٧٦/٤ .
- ١٩- بناء المجتمع : ٩٦ .
- ٢٠- شرح نهج البلاغة : ٣٠٨/١ .
- ٢١- المصدر السابق : ٢٠٠/١ .
- ٢٢- انظر الفتنة ووقعة الجمل : ٩٧ .
- ٢٣- شرح نهج البلاغة : ٣١١/١ .
- ٢٤- المصدر السابق : ٢٩٥/٩ .
- ٢٥- المصدر السابق : ٣٠٨/٩ ، ٣٠٩ .
- ٢٦- انظر المصدر السابق : ٣٣٢/١ ، ٣٣٣ .
- ٢٧- المصدر السابق : ٧٠/٧ .
- ٢٨- المصدر السابق : ٢٩١/٧ .
- ٢٩- انظر المصدر السابق : ١١٢/٨ .
- ٣٠- انظر المصدر السابق : ٢٩٧/٧ .
- ٣١- الامامة والسياسة : ١٣٨/١ .
- ٣٢- انظر مثلاً شرح نهج البلاغة : ١٨٥/٢ و ١٧٩/١٠ .
- ٣٣- المنطق : ٣٧٩ .
- ٣٤- المرجع السابق والصفحة نفسها .



- ٦٢- انظر العقد الفريد : ١٠٦/٢ وما بعدها ، ١١١-٢١٢
و ١١٦ وما بعدها .
٦٣- السيرة النبوية : ١٥٩/٤ .
٦٤- انظر خطبة زفر بن زيد في الامامة والسياسة : ٥٨/١ .
٦٥- الكامل في التاريخ : ٤٠٤/٢ .
- ٦٦- انظر مثلاً وصية عمر بن الخطاب (رض) لسعد بن
ابي وقاص في تاريخ الرسل والملوك : ٤٨٣/٣ ، ٤٨٤ .
٦٧- انظر الوصية في البيان والتبيين : ٤٦/٢ وما بعدها .
٦٨- تاريخ الرسل والملوك : ١٠٠/٥ ، ١٠١ .



□ مصادر البحث ومراجعته :

- ١ - آديان العرب قبل الاسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي ، الاب جرجس داود داود - ط ١ ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ٢ - الامامة والسياسة ، ابن قتيبة (عبدالله بن مسلم ، ٢٧٦) ، ط ٢ ، مصر ، ١٩٥٧ .
- ٣ - بناء المجتمع ، د. غانم هنا - مطبوعات جامعة دمشق ، ١٩٨٢ .
- ٤ - البيان والتبيين ، الجاحظ (عمرو بن بحر ، ٢٥٥) ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٥ - تاريخ الرسل والملوك ، الطبري (محمد بن جرير ، ٣١٠) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - مصر ، بلا تاريخ .
- ٦ - الخطابة العربية في عصرها الذهبي ، د. احسان النص - دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ .
- ٧ - السيرة النبوية ، ابن هشام (أبو محمد عبدالملك ، ٢١٨) ، تحقيق مصطفى السقا ورفيقته - بيروت ، بلا تاريخ .
- ٨ - شرح القصائد العشر ، الخطيب التبريزي (يحيى بن علي) ، تحقيق د. فخرالدين قباوة ، ط ٤ ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- ٩ - شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد (عبدالحيد بن هبة الله ، ٦٥٥) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- ١٠ - الظاهرة الأدبية في صدر الاسلام والدولة الاموية ، احسان سركيس ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨١ .
- ١١ - العقد الفريد ، ابن عبد ربه (احمد بن محمد ، ٣٢٨) ، شرحه وضبطه احمد أمين ورفيقاه ، ط ٢ - القاهرة ، ١٩٥٦ .
- ١٢ - عيون الاخبار ، ابن قتيبة (عبدالله بن مسلم) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٣ .
- ١٣ - الفتنة ووقعة الجمل ، رواية سيف بن عمر الضبي (٢٠٠) ، جمع احمد راتب عرموش ، ط ٦ ، بيروت ، ١٩٨٦ .
- ١٤ - فتوح الشام ، محمد بن عبدالملك الأزدي البصري ، صححه وليم ناسوليس الايرلندي - طبع في مدينة كلكتة ، ١٨٥٤ .
- ١٥ - الكامل في التاريخ ، عزالدين أبو الحسن علي بن الأثير ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- ١٦ - مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي (علي بن الحسين ، ٣٤٦) ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحيد ، بيروت ، ١٩٤٨ .
- ١٧ - المنطق ، محمد رضا المظفر ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٩٠ .
- ١٨ - وقعة صفين ، نصر بن مزاحم المنقري (٢١٢) ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ط ٣ ، مصر ، ١٩٨١ .

